معارضة

" لم يطل بحثنا كثيرا .. بعد أيام قليلة اجتمعنا ببعض أبناء الوطن .. كانت فرحة اللقاء لا توصف .. حدثتهم عن أهمية العمل على إنقاذ الوطن وأبنائه .. تجاوب معظمهم وتحمسوا وأكدوا على ضرورة العمل على تحرير الوطن من مغتصبه الأعور الأرعن .. شكلنا فرقا وزعنا الأعمال المطلوب إنجازها .

كنتُ على رأس أهم لجنة .. وضعنا على عاتقها التواصل مع أبناء الوطن .. شكلنا فريقا من القطط الفدائية .. مهمتها ربط التواصل بين الداخل والخارج .. تسهيل فرار المعارضين والمحكوم عليهم بالنفي .. الجانب الآخر لهذه اللجنة كان توعية أبناء الوطن المهاجرين بضرورة العمل والتخطيط من أجل العودة بسرعة لأرض الوطن ..

بدأت نتائج عملنا تظهر شيئا فشيئا.

تنهد الكهل قبل أن يضيف جملته الأخيرة :

- لكن تأتي رياح المفاجآت بما لا تشتهي سفن الربان .

سألته القطة الشابة هذه المرة :

- ماذا حدث ؟

- لم يكن الزعيم بغافل عن مخططاتنا .. يبدو أنه زرع بين ظهرانينا عيونا تعمل لصالحه .. وتتربص بتحركاتنا وتنقل له كل شاردة وواردة.

❖❖❖

كان عملياً .. لم يترك الأمر للصدفة فقرر إنهائه في مهده .. بث عيونه بين المهاجرين الفارين .. ترصّد تحركات الجميع في الداخل والخارج .. وصلت إشارة لأعوانه بساعة التنفيذ . بل سرعة التنفيذ .. هذا ما أفشل مخططه ..

ذلك المساء كنت هائما متسكعا في شوارع المدينة .. في طريقي إلى مكمني .. أفكر في همين .. هم الوطن .. وهم نفسي .. لم أشعر بمطاردتهم لي ولا مراقبتهم .. استغلوا السكون والعتمة .. استثمروا وحدتي وانشغالي أيضا .. فكان الهجوم .

لم يكن الأمر عارضا كما توقع البعض .. خصوصاً أني طيلة وجودي في المدينة لم تسجل مثل هذه الحوادث لا ضدي ولا ضد غيري .. كانت النية المبيتة هي الخلاص .. التخلص من الوجع بالقضاء على مصدر الوجع .. كنتُ مصدر وجعٍ له مرتين .. مرة

لمعارضتي له وتحريضي عليه .. أما الأخرى كوني ابن القطة الوحيدة التي عصته ورفضته ورفست نعمته .

- هكذا يفكر البغاة .. بدل أن يفكروا في البحث عن مصدر الفساد .. يبحثون عن مصدر الإقلاق المتمثل في كل من يبين عورهم وفسادهم.

سألت القطة الشابة في لهفة :

- ماذا جرى بعدها ؟

واصل الكهل سرد الواقعة :

- طالت المعركة .. لم يتمكنوا من حسمها رغم المباغتة وعددهم الكثير .. تمكنت من المقاومة وصد الكثير من ضرباتهم .. هذا عدا تلقيهم لضربات موجعة مني .. لم أكن سهلا على كل حال هههه هههه " .

أشار الكهل لآثار جراحٍ قديمة على بدنه قبل أن يكمل :

- لكن الله سلم .. فتح أحدهم نافذة بيته بعد أن أزعجه ضجيج المعركة وصراخ الخصوم .. فكانت نجاتي من موت محقق ومخطط له .

ابتسمت الشابة وقالت :

- الحمد لله .. كنت محظوظاً .

- حافظت على أرواحي السبعة على الرغم من قساوتهم هههه هههه ... فر المجرمون .. عادوا للوطن لينقلوا للزعيم فشلهم راجيين منحهم فرصة أخرى .. لكنه لم يفعل .. أعدمهم الزعيم الأعور الأرعن بعد فشلهم في تنفيذ مأربه الرخيص .. صب جام غضبه على باقي السجناء .. سخط عليهم .. أذاقهم من الألون صنوفاً.. هذا ما حمله بعض الفارين من الوطن بعد تلك الحادثة .

مرت سحابة .. غطت قرص الشمس .. سكت الكهل .. تابع مرورها .. منح ظلها برودة لذيذة .. عاد القرص ليستولي على مكانته في كبد السماء .. أعاد نشر أشعته التي حجبتها تلك السحابة العابرة .. استحثه الشابان على إكمال روايته .. عاد لسرده :

" كانت للحادثة فائدتان عظيمتان .. بدأنا أكثر حرصا من ذي قبل وأكثر دقة في تحركاتنا .. والأهم من كل ذلك هو زيارتها لي بعد أن أصابني يأس من جانبها .. جاءت لتعودني .. أفزعها ما حل بي .. كانت سحنتها ممتقعة .. أشرفت على علاجي والعناية بي .. كانت لها يد كبيرة لاسترجاعي عافيتي .. لن أنسى ذلك الصباح الذي وقفت فيه لأول مرة على قدمي بعد الحادثة .. باحت لي بما جعلني أتشبث أكثر بالحياة من أجل تحقيق هدفين هامين في حياتي .. أن أكمل مسيرتي من أجل وطني .

وأن أكون جديرا باحترامها وحبها .

❖❖❖

سار الثلاثة نحو البرميل هرباً من حرارة المكان .. دخلوا جوفه .. انتظروا جميعاً جولة الذبابة التفتيشية .. استعد لها الشابان بقبضتيهما الفتية .. دخلت من الجهة المعاكسة لهما .. جالت في المكان مزعجة الكهل وضيفيه .. غادرت بعد محاولات يائسة لإصابتها بالقبضات الفتية الغاضبة .. استقر أهل البرميل أخيراً .

" ارتبطنا أخيراً .. كان الأمر صعبا عليها .. فأسرتها تعارض هذا النوع من الارتباط .. لكنها كانت شجاعة .. استطاعت أن تفرض رغبتها وأن تدافع عنها باستماته .. كثير من منفييّ الوطن ارتبطوا في المدينة .. منهم من استمرأ العيش فأنسته القضية .. تغير فنسى الوطن .

فنسيناه أيضا .. منهم كثيرون من تلبسته القضية فصارت تسري في دمه .. وما ارتباطه بأليف من المدينة إلا دعماً نفسياً وعاطفياً ومعنوياً له في مسيرته .. مر وقت ليس بالقليل .. اكتشفنا أننا لسنا وحدنا من يعمل لنفس الهدف .. وهو إسقاط الزعيم الأعور .

اسوء ما وصلنا من اخبار من الوطن كان عن القط العجوز ..

تساءل القط الفتيّ :

- ماذا حل به ؟

- بعد أن صار له اتباع ومريدين صار يشكل قلقاً على الزعيم .. فكاد له مكيدة جهنمية محكمة فقد على إثرها بصره فصار كفيفاً .. كان خبراً موجعاً .

- يا لتعاسة القطط .

- فكان أول ما قررنا عمله هو أخراج العجوز من الوطن وكذلك الشاعر الذي صارت قصائده أناشيد تموء بها القطط في كل وقت وحين ..

قالت القطة الشابة :

- غرض نبيل وغاية هادفة وتعاون مفيد .

حرك الكهل ذيله علامة الرضا .. قال بعدها:

- عملنا بجد مع الكثير من جماعات القطط الهاربة .. ربما اختلاف الوسائل كان الفارق بيننا وبينهم .. كان لاختلاف الأهداف من إزاحة الأعور الأرعن أيضاً عائقاً دون التنسيق مع آخرين ..

مع ذلك تجاوزنا الكثير من المحن ..

انتظمت صفوفنا جيداً .. عملنا بجد واجتهاد وبتنسيق .. استطعنا إخراج العجوز الضرير والشاعر المنكوب ..

هتفت القطة الشابة :

- رائع ..

أضاف الشاب بحماسة :

- خطوة مهمة .

واصل الكهل قائلاً :

- كان نصراً مهماً لنا على الأرعن .. الذي استشاط غضبه وما انفك يضرب خبط عشواء .. يعتقل هنا وهناك ويقتل ما سهل علينا أهم أمر .

- ماهو ؟

- صارت القطط أكثر تفهماً ووعياً وإدراكاً لأهمية إزاحة الأرعن وانتزاع حريتها منه مهما كلف الثمن .

دقت ساعة الحسم ..